

الذكرى

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

....

تصدر مؤقتاً

في أول كل شهر ونصفه

العدد العشرون « القاهرة في يوم الأربعاء ١٢ رجب سنة ١٣٥٢ — أول نوفمبر سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

عدلى...

يجب أن يكون الناس قد انتهوا من الحرج والضيق، ومن العسر وسوء الحال الى حيث أصبحوا ينسكرون أنفسهم ويمرون سراعاً ببعض الاحداث الجسام التي كانوا يقفون عندها فيطيلون الوقوف، ويفكرون فيها فيطيلون التفكير. ويتذوقون آلامها متمهلين متعمقين كأنهم يجدون في تذوقها على مهل وفي أناة شيئاً من اللذة يدعوهم الى استبقائها ومد أسبابها. فهم كانوا اذا ألم بهم الحدث من هذه الاحداث وجهاً له وجوماً طويلاً ثقيلاً، ثم يذهب عنهم الوجوم شيئاً فشيئاً فيحسون لذع هذه اليقظة المؤلمة، ثم يفيقون فيقدرون خطر الحدث الذي أصابهم، ويذكرون من أصابهم فيه ويطيلون ذكره، ويتمثلون مواقفه المختلفة، ثم ينظرون الى حاضره ومستقبله ويتصورون فقيدهم مواجهاً لظروف الحاضر والمستقبل، ويسألون أنفسهم عن مواقفه التي كان يمكن أن يقفها من هذه الظروف لو امتدت له أسباب الحياة، ويتخذون من هذا التفكير المتنوع الطويل سبلاً الى الألم متنوعة، ووسائل الى الحزن متباينة، تأتي نفوسهم أن تقطع الصلة بينها وبين من فقدت، حتى اذا عملت الايام عملها، وتكاثرت خطوب الحياة على ما يملأ النفوس من ذكرى، فحاولت أن تسدل عليه من النسيان ستاراً، جاهدت هذه النفوس ما وسعها الجهاد، لتقاوم الظروف، وتمانع النسيان وتستبقى شخص الفقيد ماثلاً أمامها تنظر اليه وتحزن عليه وتبكيه أو تبكي نفسها فيه كذلك كان الناس حين كانت حياتهم حياة تستحق هذا الاسم،

فهرس العدد

صفحة

- ٣ عدلى : للدكتور طه حسين
- ٧ النقد والتقرير : للأستاذ أحمد أمين
- ٨ المعالي : للدكتور محمد عوض محمد
- ١١ الديمقراطية : م
- ١٤ من صور بغداد — حديقة : أحمد حسن الزيات
- ١٥ نعي هين : فخرى أبو السعود
- ١٦ مطالعات في التصوف : محمد مصطفى حلمي
- ١٧ قص الشعر في الأدب العربي : علي شرف الدين
- ١٨ فلسفة لينتر : للأستاذ زكي نجيب محمود
- ٢٠ ابن خلدون وميكافيللي : للأستاذ محمد عبد الله عنان
- ٢٢ مداعبة شوقية : للمرحوم شوقي بك
- ٢٢ العود : للأستاذ أحمد الزين
- ٢٣ قبلة : على محمود طه
- ٢٣ عزلة : أنور العطار
- ٢٤ في الزورق : حسين شوقي
- ٢٥ جفا في الادب الفارسي : للدكتور عبد الوهاب عزام
- ٢٧ آراء وأبناء : للدكتور أحمد زكي
- ٣١ الجورب الوردى : محمود البدوي
- ٣٣ الشاعر روبنول : لبول پرولا — ترجمة فتوح نشاطي
- ٣٨ بلياس ومليزاند : لموريس ماترنك — ترجمة الدكتور حسن صادق
- ٣٩ دائرة المعارف الاسلامية : للدكتور عبد الوهاب عزام
- ٤١ دائرة المعارف الاسلامية : للأستاذ اسماعيل مظهر

وحين كانت أيامهم أياما ، أما الآن فقد تغير الناس لأن حياتهم تغيرت ، وقد تبدل الناس لأن أيامهم تبدلت ، فقدت الحياة في نفوسهم قيمتها ، فاصبحوا لا يدقون لذتها وآلامها الا مسرعين . وفقدت الايام في نفوسهم قيمتها ، فاصبحوا لا يقفون عند احداثها وخطوبها الا لما . كثرت عليهم الاحداث والخطوب ، وثقلت عليهم الارزاء والمحن ، وعجزت أعصابهم عن المقاومة ، فعجزت نفوسهم عن الحزن كما عجزت نفوسهم عن الفرح . أصبح كل واحد منهم وكأنه الكرة الخفيفة الوثابة تتدافعها الحوادث ، وتتقاذفها الكوارث ، فلا تكاد تقع على حادثة أو كارثة ، أو لا تكاد تقع عليها حادثة أو كارثة ، حتى تشب وتقفز بسرعة ، خفيفة ، عنيفة ، تبتغي حادثة أخرى و كارثة أخرى ، أو تبتغيها حادثة أخرى و كارثة أخرى

وهذا وحده هو الذي يفسر موقف الناس من هذا الخطب العظيم الذي ألم بهم حين نعت اليهم الانباء عدلى يكن رحمه الله ، فقد وقعت هذه الانباء عليهم وقع الصواعق ، فوجموا لها ، ولكنهم أفاقوا مسرعين من هذا الوجوم ، لأنهم تعودوا وقع الصواعق في هذه الايام . أفاقوا وجرعوا ، واشتد عليهم الجزع ، حتى كاد يشبه اليأس ، ولكن جزعهم كان قصيرا محدود الامد ، فلم يمض يوم وبعض يوم حتى شغلوا عن هذا الخطب ولم ينسوه ، وانما صرفوا عنه صرفا ، صرفتهم عنه هذه الضرورات القاسية والآلام الملحة التي لا يعرفون كيف يخلصون منها أو يثبتون لها . وما رأيك في قوم لا يستقبلون النهار اذا أشرقت شمسهم الا بالخوف من بياضه ، ولا يستقبلون الليل اذا نشر ظلمته على الأرض الا بالاشفاق من سواده ، يصبحون وهم يجهلون الى أين يدفعهم النهار المضى ، ويمسون وهم يجهلون الى أين يذهب بهم الليل المظلم .

كيف تريد من هؤلاء الناس أن يبتلوا مرارة الحزن ولذع الألم ، أو يستعذبوا حلاوة الفرح وموقع السرور من نفوسهم ؟ لقد فقدوا أو كادوا يفقدون هذه الملكات القوية الرقيقة الحساسة التي كانت تنقل الى نفوسهم صور الحياة كما هي . فهي تمكنهم من أن يتعظوا بما يبعث العظة منها ، ويبتهجوا بما يثير الابهاج ، هاهم اولاء يفكرون في أزماتهم على اختلافها ، ويجدون في التخلص من هذه الأزمات أو الاذعان لها ، ليس منهم الا طالب أو مطلوب ، ليس منهم الا غالب أو مغلوب ، ليس منهم الا بائس أو مستظرب للبؤس ، وليس منهم الا محرج أو مدفوع الى الحرج ، فهم معذورون اذا صرفتهم الحوادث صرفا عن ذكر هذا الفقيد العظيم ، وعن إطالة ذكره والتحدث فيه ، وهو مع ذلك مازال في دار الغربة حيث قبضه الله اليه ، لم يعبر جثمانه البحر بعد الى وطنه ليوارى في ترابه ، ويدفن في ثراه المقدس .

هم معذورون . وعدلى رحمه الله أشد الناس قبولا لعذرهم هذا ، لانه كان أحسن الناس تقديرا لحالهم هذه . ولأنه كان أشد الناس عطفًا عليهم وبرآ بهم ، ولأنه كان على امتيازهم وأرستقراطيته الظاهرة يشاركهم فيما يجدون ، ويقاسمهم ما يشعرون به من الحزن والألم وسوء الحال . والمصريون أكرم على أنفسهم من أن يكون سكوتهم عن عدلى بعد موته بقليل نسيانا له ، أو تقصيرا في ذاته ، فليس عدلى من الأشخاص الذين يقدر عليهم النسيان ، وليس المصريون من الشعوب التي يهون عليها الجليل . ومهما يكن الأمر في ذلك فان ذاكرة التاريخ أقوى وأثبت وأعمق من ذاكرة الناس ؛ وسيدكر التاريخ دائما أن أربعة من المصريين كانوا أئمة النهضة الوطنية الاستقلالية ، أو قل كانوا أئمة الثورة المصرية التي شبت نارها بعد أن خمدت جذوة الحرب ، والتي هبت فيها الأمة المصرية تطالب بأن يعرف الناس لها أنها أمة حرة كريمة تريد أن تعيش في بلد حر كريم . كان هؤلاء الأئمة الأربعة عنوان الحياة السياسية الجديدة في مصر ثم في الشرق كله ، وسيظلون عنوانا لهذه الحياة على اختلاف طبائعهم وأمزجتهم ، وعلى تباين ميولهم وأهوائهم ، وعلى ما بين شخصياتهم العظيمة الفذة من الاختلاف ، ولن يستطيع مؤرخ أن يصور حرية مصر وحرية الشرق في هذه القطعة من الزمن التي تبتدىء بعد الحرب دون أن يعتمد في تصويره على هؤلاء الأئمة الأربعة في السياسة : سعد ورشدي وثروت وعدلى رحمهم الله !

كان سعد من هذه الثورة المصرية الشرقية بمكان الجذوة القوية المضطربة التي لا يعرف الخود اليها سبيلا ، والتي لا يمسها شيء إلا اضطرم ، ولا يدنو منها شيء إلا التهب . والتي تبعث أشعتها القوية المحرقة الى أبعد الاماكن منها فتذكي فيها نارا ، وتثير في جوها أوارا ، وتخرج أهلها عن أطوارهم ، وتدفعهم الى حب الحياة بعد الموت ، والعزة بعد الذل ، والاستقلال بعد الخضوع والاذعان .

وكان رشدي من هذه الثورة بمكان الفقيه الذي يعرف كيف يستخرج الحق من الشبه ، ويرد اليه حظه من الوضوح الذي لا يدع للشك فيه سبيلا ، ثم يدافع عنه بالحجة الساطعة والبرهان المستقيم والعاطفة الصادقة الحارة .

وكان ثروت من هذه الثورة بمكان المدير الماهر ذي الحيلة الواسعة والمدخل الخفي والمخرج اللطيف كلما تخرجت المواقف وتعدت الامور .

وكان عدلى من هذه الثورة بمكان العقل الهادي الرزين الحكيم ، الذي لا يقوم الا على بصيرة ، ولا يقبل الا على ثقة ، وبعد تفكير طويل ، وروية متصلة . ولا يأتي من الامر شيئا الا في أناة ووقار

وهدهوء، قلما تظفر بمثلها عند الزعماء. ولو أن الثورة المصرية الشرقية فقدت واحدا من هؤلاء الأربعة لما كان لها شكلها الذي نعرفها به، ولا طبعته بهذا الطابع الذي يميزها من غيرها من الثورات.

كانت أمزجة هؤلاء الأئمة الأربعة عناصر تكونت منها هذه الثورة المصرية الشرقية. وقد اختلفوا واختصموا، وجاهد بعضهم بعضا جهادا عنيفا. ولكن مزاج الثورة المصرية كان في حاجة قوية إلى هذا الخصام والجهاد ليحيا ويقوى ويثبت للأحداث، ويبقى على رغم الخطوب. ثم أذن الله لهؤلاء المختلفين أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من ائتلاف، ويثوبوا إلى ما كان بينهم من مودة

وحب، ومن تعاون واتفاق، فصفا بعضهم لبعض، وسعى بعضهم إلى بعض، ورضى بعضهم عن بعض، ورضيت الأمة عنهم جميعا، ورضى الله عنهم فأثرهم برحمته واختارهم إلى جواره، يسعى بعضهم في إثر بعض إلى دار الخلود وقد أدى واجبه، ونهض بما كان ينبغي أن ينهض به من الحق. وكان سعد أسبقهم إلى الخلود، وكان عدلى آخرهم انتقالا إلى دار الخلود. ولقد تحدث الناس عن سعد ورشدى وثروت فأطالوا الحديث، وسيتحدثون، وستكون أحاديثهم أجل وأوضح،

وأدل على عظمة هؤلاء نفر كلما بعد بيننا وبينهم العهد، ومضت على وفاتهم الأيام. ولكن الناس لم يتحدثوا بعد عن عدلى لأنه عاش إلى هذا العهد، فكانت حياته مانعة من الحديث فيه، ولأنه مات في هذا العهد فكانت الحن المقيمة صارفة عن اطالة الحديث فيه.

وليس الحديث عن عدلى سهلا ولا يسيرا، فأنت لا تكاد تعرض لخصاله حتى تعجبك كلها، وحتى تدعوك كلها إلى أن تحمده وتثني عليه. وإذا أنت حائر لا تدري ماذا تأخذ منها وماذا تدع، ولكن نواحي ثلاثا من حياة هذا الرجل تفرض نفسها على الكتاب

والمفكرين فريضا. فاما أولها فهي امتيازها الشخصي في حياته الخلقية، وفي ما كان بينه وبين الناس من صلة. فعلى أقل الناس تعرضا للنقد من هذه الناحية: كان رضى الخلق، وكانت هذه الخصلة أظهر خصاله وأوضحها، ولكنها على ذلك لم تكن تسبق إلى الناس ولا تظهر نفسها لهم، ولا تطمعهم في صاحبها، وإنما كانت تحيط نفسها بسياسج من الأنفة والترفع، يحسبه الناس ضربا من الغطرسة، ولونا من الكبرياء، فيها بونه ويناؤون عنه، فإذا اتيج لهم أن يدنوا من الرجل ويخلصوا إلى نفسه، لم يجدوا غطرسة ولا كبرياء، وإنما وجدوا أنفة وعزة وترفعاً عن الابتذال. ووجدوا من وراء هذا

كله نفسا صافية نقية، وقلبا طاهرا وفتيا، وضميرا كريما حيا. وظهر لهم هذا كله في معاشرة حلوة، وحديث عذب ولسان عفيف، وصلات ترفع الذين يدنون من عدلى إلى حيث هو، ولا تهبط بعدلى إلى حيث يكون المتصلون به والساعون إليه. والناحية الثانية مذهبه السياسى. فقد كان عدلى كغيره من أصحابه مؤمنا بحق مصر في الاستقلال، حريصا على أن تظفر مصر بهذا الحق، لم يكن يتهم في ذلك من أحد. وكان عدلى كأصحابه يرى أن المفاوضة

مع الانجليز قد تؤدي إلى الطفر بهذا الحق، وتنتهى بمصر إلى ما تريد. ولكن طريقه في تنفيذ مذهبه هذا وإخراجه إلى الحياة العملية هي التي تميزه من غيره، وهي التي تظهر طبيعته ومزاجه، كما وضحت ما تكون الطبيعة والمزاج. فلم يكن عدلى صاحب قوة وعنف، ولم يكن عدلى قادرا على أن يوجد بينه وبين الشعب على اختلاف طبقاته هذه الصلة القوية التي تجعله مرآة للشعب من جهة، وملهما للشعب من جهة أخرى. إنما كان عدلى رجلا يحب الشعب ويؤمن به، ويرى على حقه دون أن يلهمه أو يستلهمه. كان يصدر عن عقله وتفكيره الهادى الرزين، أكثر مما

الرسالة

تصدر أسبوعية

ابتداء من يوم السبت ٢ ديسمبر

وسيزاد على أبوابها المعروفة أبواب أخرى كالنسائيات والخبار الأدبية والعلمية والسينما والمسرح، وستعنى بالقصص والاقتصاد والاجتماع والسياسة العالمية

خطوة جديدة وأكيدة

يصدر عن عواطفه الحارة وشعوره الغنيف . وكان لا يحسن الحديث الى الشعب ، لأنه لم يكن يجد هذه الكلمات والجمال الساحرة التي تنفذ الى قلوب الشعب . وكان كل ما يستطيع أن يرى ويسمع ويفكر ، ثم يعمل تاركا لغيره ما لا يقدر عليه من الهمام الشعب واستلهامه . فلما ألفت وزارته الاولى وأعلن برنامج هذه الوزارة متفقا عليه مع الوفد ، كان هذا البرنامج مظهرا واضحا قويا ، لطبيعة هذا الرجل المستقيمة ومذهبه الصحيح في فهم حقوق الشعب وتقديرها . فانظر اليه يحرص في هذا البرنامج حرصا شديدا على أمرين : الاول أن يستخلص لمصر حقوقها من الانجليز بالمفاوضة ، الثاني ان يعرض على الشعب المصري نتيجة المفاوضات لينظر فيها ويقرها ، وأن يكون هذا الشعب ممثلا في جمعية وطنية لا تقف مهمتها عند إقرار المعاهدة وتنظيم العلاقة بين مصر وبين الانجليز ، بل تتجاوز هذا الى شيء عظيم الخطر حقا وهو وضع الدستور ، وتنظيم سلطة الشعب ، وتنظيم العلاقة بين السلطة التشريعية وغيرها من السلطات التي يتكون منها سلطان الدولة ؛ ومعنى ذلك أن عدلى كان يؤمن بأن الأمة وحدها مصدر السلطات ، وبأنها ما دامت كذلك فهي التي يجب ان تضع الدستور وان تعلنه لان تتلقاه . ومن يدري ؟ لو أن الظروف واثت عدلى ومكنته من تنفيذ برنامجه لعل مصر ان تكون قادرة على ان تجتنب كثيرا من الازمات الداخلية التي املت بها فجرت عليها شرا كثيرا .

ولست أدري لعل موضع الخطأ في برنامج عدلى رحمه الله أنه جعل دعوة الجمعية الوطنية نتيجة للمفاوضات لا مقدمة لها . فلما لم تنجح مفاوضاته لم تدع الجمعية الوطنية ، وتلقت مصر الدستور ولم تصدره . ولكن أكان عدلى قادرا حقا على أن يدعو الجمعية الوطنية قبل المفاوضات ، وقبل أن يستخلص لمصر حريتها من الانجليز؟ وماذا عسى أن تكون قيمة هذه الجمعية الوطنية التي تدعى وتعقد وتشعر الدستور وغير الدستور في ظل الحماية الأجنبية ؟ وماذا يكون موقف هذه الجمعية الوطنية من الانجليز ؟ وماذا يكون موقف الانجليز منها ان شجر بينها وبينهم خلاف : مهما يكن من شيء ، فقد كان فهم عدلى لحقوق الشعب وتصويره لهذه الحقوق ملائمين أشد الملاءمة لأرقى المثل الدستورية العليا .

الناحية الثالثة : وفاء هذا الرجل العظيم لمذهبه في السياسة ، ورأيه في حق الشعب ، وثباته على هذا المذهب ، وامتناعه أن يتحول عنه مع الظروف ، فقد أخفق في مفاوضة الانجليز واستقال وعجز عن أن يدعو الجمعية الوطنية ، واسكنه قضي بقية حياته مؤمنا بأن المفاوضات هي أوضح

السبل الى الاستقلال ، مؤمنا بأن سلطة الشعب هي القوام الشرعي الوحيد لكل حكومة ، وهي العماد الشرعي الوحيد الذي يجب أن تعتمد عليه الحكومات فيما تأتي من الأمر في السياسة الداخلية أو الخارجية ؛ ولم يكذب يصدر الدستور حتى عرف عدلى كيف يرضى نفسه وضميره في السياسة ، فتقدم الى أمته في الانتخابات ؛ فلما قضت عليه اذعن لقضائها ورضى به ، لا يحمل لأمته غلا ، ولا يضمن لها حقدا ، ولا ينكر عليها أنها انصرفت عنه الى غيره ، ولم تمنحه ثقها . وهو على ذلك كله مؤمن أصدق الايمان بأن هذا الدستور الذي صدر لا يفيد الذين أقسموا على الاخلاص له وحدهم ، وانما يقيد المصريين جميعا وهو من بينهم . ومن هنا تستطيع أن تفهم أن عدلى قد أبى كل الالباء بعد صدور الدستور أن يؤلف وزارة ، أو يؤيد وزارة ، أو يشترك في وزارة لا تعتمد في صراحة واخلاص على الدستور ؛ ومن هنا تستطيع أن تفهم اسرعه الى الائتلاف مع سعد حين دعى اليه ، واخلاصه في تأييد هذا الائتلاف ، وقبوله رئاسة الوزارة في هذا الائتلاف ، لأن هذا الائتلاف كان قوامه ارجاع الحياة الدستورية ، وكان اعتماده على الدستور ، وكان بقاءه رهينا ببقاء الدستور ؛ ومن هنا تستطيع أن تفهم كيف اعتزل السياسة وانصرف عنها حين وقف الدستور ، وكيف أسرع الى قبول الوزارة حين عرضت عليه ليرد الدستور . ثم من هنا تفهم أيضا كيف أنكر ما كان من تغيير الدستور القديم ، وكيف أسرع الى الاحتجاج على هذا التغيير ، وكيف أسرع الى التعاون مع المؤتمر الوطني الذي أنكر ما حدث من تغيير ، وألح في أن ترد الأمور الى نصابها ، وكيف أنفق بقية حياته عزيزا كريما أيا يرقب الحوادث وينتظر الفرص وينتظر أن يدعو الواجب الوطني فيستجيب له . ولكن دعوة الموت سبقت دعوة الواجب الوطني ، فأسرع عدلى الى حيث أراد الله له من هذه الحياة الخالدة . حياة الكرامة والنعيم . وتريد الأقدار أن يموت عدلى حيث مات صديقه الحميم ثروت في باريس بعيدا عن الوطن ، وتريد الأقدار أن يموت عدلى كما مات صديقه الحميم ثروت ومصر في أزمة سياسية عنيفة تعتمد عليه وتعقد به أوسع الآمال . فاذا هي تمتحن فيه وتحرم معونته ، ثم تريد الأقدار أن ينتقل عدلى الى وطنه في نفس السفينة التي نقل فيها ثروت ، وهي (البروفيدنس) ! أفترى الأقدار قد رعت حرمة هذه المودة الصادقة الخالصة التي كانت بين هذين الرجلين العظيمين ، فأرادت أن تلائم بينهما في الموت كما لاءمت بينهما في الحياة ؟

طه حسين